ديوان المعاني

لأبي هلال العَسْكريّ
وشيٌ
من التحليل والعروض والفهرسة

الدكتور محمود محمد الطناحي

ديوان المعاني لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سَهْل العسكريّ المتوفّى في حدود سنة (٤٠٠ هـ) من أشهر المجموعات الأدبية التي عُنيت بجمع الأبيات والمقطّعات التي تدور على معانٍ وموضوعاتٍ محدَّدة .

وقد حمل هذا اللونُ من المجموعات الأدبية العُنواناتِ التاليةَ : كتاب المعاني ـ معاني الشعر ـ أبيات المعاني . ومن أشهر المصنّفات في ذلك ، ماألّفه الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) وابنُ السِّكِّيت ، وابن قُتيبة ، والأُشْناندانى[1] .

و « أبيات المعاني » هي تلك الأبيات التي يُخالف باطنُها ظاهرَها ، أو هي التي يُحتاج أن يُسألَ عنها ، ولاتُفْهم من أول وَهْلة[2] . وهو أمرٌ

● كلفت لجنة المجلة الأستاذ أحمد راتب النفاخ النظر في المقال . وقد اثبت تعليقاته بين حاصرتين [ ] / المجلة .

(١) انظر أشهر المصنفين في ذلك ، في تاريخ التراث العربي . المجلد الثاني (الشعر) الجزء الأول ٩١ ـ ٩٦ .

(٢) وليست هي كتب الألغاز . وراجع الكلام على أبيات المعاني في سفر السعادة ص ٦٦٥ ، ٧٣٨ ، والمزهر ١ / ٥٧٨ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٤ / ١٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يرجع إلى غرابة المعاني ودِقّتها ، وهذا مانراه فيما طُبع من كتب معاني الشعر ، ككتاب ابن قتيبة (المعاني الكبير) ، والأشنانداني ، وفيما نُقل إلينا من الكتب المفقودة ، ككتاب الأخفش ، وابنِ السّكيت .

على أنّ قراءةَ أبواب (ديوان المعاني) وفصوله تنفي أن يكون الكتابُ كلُّه خالصاً لهذا اللون المعروف من كتب أبيات المعاني ، على الحدّ الذي رسمه أهلُ الأدب ، وفي حدود الموضوعات التي دارت عليها هذه الكتب ، فقد فسح أبو هلال كتابه لكثير من الموضوعات والصُّور التي لم تُعرَف في كتب المعاني السابقة ، وهو أمرٌ يفرضه تأخُّرُ زمانِ أبي هلال أوّلاً ، وتُمليه ثقافتُه النقديةُ والبلاغيةُ ثانياً .

وأيضاً فإن أبا هلال قد ضمَّ إلى اختياراته الشعرية في هذا الكتاب كثيراً من روائع المنثور ، وهذا فرقٌ مابينه وبين كتب المعاني ، على الحدّ الذي رسمه أهلُ الأدب ، كما سبق ، لأن كتب هذا اللون تدور حول المعاني الدقيقة في الموروث الشعريّ وحدَه .

ومما ينبغي التنبهُ له أن كتب التراجم المطبوعة التي ترجمت لأبي هلال ، لم تذكر له كتاباً بهذا العنوان (ديوان المعاني) ، وكذلك لم يُذكر في الكتب الببليوغرافية ـ قوائم الكُتُب ـ مثل كشف الظنون . ممَّا جعل أستاذَنا الدكتور بدوي طبانة يقول : وإن نحن نظرنا في هذا الاسم ـ يعني ديوان المعاني ـ وطبّقناه على ثبت كتب أبي هلال ، لم نجدْ هذا الاسمَ نصّاً ، وإنما نجد بين تلك الكتب كتابين ، اسم أولهما « معاني الأدب » واسم الآخر « أعلام المعاني في معاني الشعر » . ونحن نرجّح أن « ديوان المعاني » الذي بين أيدينا هو كتاب « معاني الأدب » الذي ذكره المؤرخون في آثار أبي هلال ؛ لاختصاص ثاني ماذكروه « أعلام المعاني في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاني الشعر » بالشعر وحده ؛ ولأن ديوانَ المعاني قد جمع فرائدَ من المنظوم والمنثور ، هي أقربُ في نظرنا إلى التعميم وإلى مدلول الأدب ، هذا إذا لم يكن « ديوان المعاني » كتاباً ثالثاً غيرَ « معاني الأدب » وغيرَ « أعلام المعاني في معاني الشعر »[٣] .

قلتُ : لئن سكتتْ كتبُ التراجم ، والببليوغرافيا (قوائم الكتب) عن ذكر هذا الاسم : (ديوان المعاني) فقد جاء التصريحُ به في مفتتح أبواب الكتاب الاثني عشر ، وليس هذا من صنيع الناشر ، رحمه الله ، لأنك تراه في صورة صفحةٍ من نسخة المتحف البريطاني المخطوطة التي أثبتها الناشر في صفحة (٣٦٨) في نهاية الجزء الأول ، وقبل الجزء الثاني . وأصْرَحُ من هذا ، وأدْعَى إلى الطمأنينة ـ إن شاء اللهُ ـ في اسم الكتاب ، ذِكْرُ البغداديِّ له هكذا (ديوان المعاني) في أربعة مواضع من الخزانة[٤] . وقال في الموضع الثالث منها : « وله عندي كتاب الفروق في اللغة ، وكتاب ديوان المعاني ، وهما دالان على غزارة عِلمه » .

على أنه قد حاك في صدري أن هذا الكتاب (ديوان المعاني) هو نفسُه الكتابُ الذي ذكره المترجمون لأبي هلال باسم (أعلام المعاني في معاني الشعر) ، ويُؤنسُ بذلك قولُ أبي هلال في مقدمة ديوان المعاني : « جمعتُ في هذا الكتاب أبلغ ماجاء في كلِّ فنّ ، وأبدع مارُوِي في كلِّ نوع من أعلام المعاني وأعيانها ، إلى عواديها وشذّاذها ، وتخيّرت من ذلك

---

(٣) أبو هلال العسكري ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) الخزانة ١ / ٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ١٠ / ٣٥١ ، ورحم الله العلاّمة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، والعلاّمة أحمد تيمور باشا ، وشيخنا عبد السلام هارون ، فقد فتحوا مغاليق الخزانة بما صنعوا لها من فهارس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مـــاكان جيّـــدَ النظم محكمَ الرصف ، غيرَ مهلهـــل رخـــو ، ولامتجعّـــد فجّ .... » .

ثم قال : « والذي حدَاني على جمع هذا النوع أيضاً ، أني لم أجدْ فيـه كتاباً مؤلّفاً ، ولا كلاماً مصنّفا ، يجمع فنونـه ، ويحوي ضروبـه ، ورأيت ماتفرّق منه في أثناء الكتب وتضاعيف الصحف غيرَ مُقْنِع يشفي الراغب ويكفي الطالب ، فجمعتُه هنا ، وأضفتُ إلى كلّ نوعٍ منه مايُقاربـه من أمثالـه ، ومـايجري معـه من أشكالـه ، ليكـون مـادّةً للمنـاقضـة ، وقـوّةً للمفاوضة ، وجعلتهُ نظماً ونثراً ، وخبراً وشِعراً ؛ لأبعثَ به نشاطَ النـاظر ، وأُجْلي به صَدأ الخـاطر ؛ لأن الخروجَ من ضَرْبٍ إلى ضَرْب أنفى للملال ، وأعْـدَى على الكـلال ، مِن لـزوم نهجٍ لا يتعـدّاه ، والاقتصـارِ على أمرٍ لايتوخّى سِواه »[٥] .

فأنت ترى أبا هلال يُصرّح بأعلام المعاني ، في مقدمة ديوان المعاني ، ولانُكرانَ أن يُسَمَّى الكتـــاب بـــاسمين ، وقـــد يُسَمَّى بـــأكثر منهما[٦] . ولانُكرانَ أيضـاً أن يكـون (أعـلام المعـاني في معـاني الشعر) هـو نفسُـه (ديوان المعاني) وإن كان فيه طـائفـة من منثور الكلام ، فـإن الغـالب عليه الشعر ، والتسميةُ يُراعى فيها التغليب .

ويكشف هذا الكلام الذي ذكره أبو هلال في مقـدمـة كتـابـه ، عن منهجـه في اختيـاراتـه ، وقـد ذكر هـذا المنهجَ مرّةً أخرى ، فقـال : وهـو يذكر أجودَ مـاقيل في طِيب عَرْف المرأة : « جميعُ مـامرَّ بي من الشعر في هذا الفنّ متقاربٌ في المعنى ، لايفضُلُ بعضُـه بعضـاً إلاَّ في القليل ، ومنـه

(٥) ديوان المعاني ١ / ٧ ، ١٣ .

(٦) انظر الخلاف في اسم كتاب أبي علي (الشعر) في مقدمة تحقيقي ص ٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماهو جيّد المعنى ، حلوُ المعرض ، فتركتُه ؛ لأن الشرط قد تقدّم بإيراد الجيّد لفظاً ومعنى ورَصْفاً ، وذلك قليل ، ليس يقع إلاَّ بعد التصفّح الطويل والتعبِ الكثير »[٧] .

وقد حفَل كتابُ أبي هلالٍ هذا بفنون من المنظوم والمنثور ، من أدب الجاهلية وصدرِ الإسلام والدَّولتين : الأموية والعباسيّة ، مع عنايةٍ فائقة بشعر المحدَثين ، كمسلم بن الوليد وبشّار بن بُرْد ، ومَن إليهما ، ومَن بعدهما كابن طباطبا ـ وقد أورد له شعراً كثيراً ـ ثم أبي تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرُّوميّ ، وغيرهم من الشعراء المقلّين ، مثل كشاجم والناجم ، وجحظة البرمكيّ ، وطُرَيْح بن إسماعيل الثقفيّ ، وإبراهيم بن العباس الصوليّ ، ومحمد بن وُهَيْب الحميريّ ، وابن أبي فَنَن .

وأبو هلال شديدُ الإعجاب من بين هؤلاء بأبي تمام ، ومافتئ يُصرِّح بإعجابه به ، فيقول مثلا : « وليس في المحدَثين أحسنُ مراثيَ من أبي تمام »[٨] . ثم يقول بعقب ذلك : « وقد كثُرت عليَّ محاسنُه في هذا الباب ، فما أدري ماأُورِد ومأترُك »[٩] .

ويُعَدّ ماأورده أبو هلال من شعر أبي تمام من أكثر إيراداته في هذا الكتاب ، ولا يزاحمه في ذلك إلاَّ ابن الروميّ والبحتريّ وابن المعتزّ . أما أبو الطيب المتنبي فيأتي عنده دون هؤلاء بكثير ، فلم يُلِمَّ به إلاَّ قليلا ، بل إنه غمزه في بعض المواضع بأنه قد أتى بمالاينطق به اللّسان ، ولاينطوي

---

(٧) ديوان المعاني ١ / ٢٥٨ .

(٨) ديوان المعاني ٢ / ١٧٦ ، لكن انظر رأي ابن رشيق فيما بعد .

(٩) ديوان المعاني ٢ / ١٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه الجنان[١٠] . وقد يدلُّك على اطِّراحه له ، وعدم اهتمامه به أنه أشار إليه في (الصناعتين) بعبارة « بعض المتأخرين »[١١] عندما عرض لقوله :

إني على شغفي بما في خمرها لأعفُّ عمَّا في سراويلاتها

ثم قال : سمعتُ بعضَ الشيوخ يقول : من الفجور ماهو أحسنُ من هذه العِفَّة . وأبو هلال يعرف أن البيت للمتنبي ؛ بدليل التصريح باسمه عند ذكر القصّة في (ديوان المعاني)[١٢] .

ويُعدُّ هذا الكتاب معرضاً حافلاً لشعر المحدَثين ، صُوَراً وأوزاناً ، فقد جاء أبو هلال وقد استقرّ شعر هؤلاء المحدَثين ، وتحدَّدت طرائقُه وملامحُه ، واتضحت أنغامُه وقوافيه ، وكان أبو هلال أحدَ الراصدين له ، المتتبّعين لقضاياه ، على ماتراه في كتابه الجهير (الصناعتين) .

على أنه مع احتفاله بشعر المحدَثين ، إنشاداً وموازنة ، كان شديدَ الإعجاب بشعر الأوائل ، فقد أنشد للأعشى ، هذا البيت ـ وهو عنده من أحسنِ ماقيل في الشعور ـ :

فأفضيتُ منها إلى جنَّةٍ تدلَّتْ عليَّ عناقيدُها

ثم قال : « ليس لأشعار المتقدِّمين نظير . وكان بشّارٌ يتعجَّبُ مِن حُسْنه ، ويُقدِّمه على جميع ماقيل في الشَّعَر »[١٣] .

---

(١٠) ديوان المعاني ١ / ٥٤ .

(١١) الصناعتين ص ٣٨٤ ، وأبو الطيّب أجلُّ من أن يُذكر هكذا بصُورة الإغماض والتجهيل !

(١٢) ديوان المعاني ١ / ٢٦٨ .

(١٣) ديوان المعاني ١ / ٢٤٤ ، وأنبّه هنا إلى أني لم أجد هذا البيت في شعر الأعشى الذي نشره المستشرق غاير ، في الصبح المنير ، ولافيما نشره الدكتور محمد محمد حسين ، بل لم أجد في شعره من المتقارب المضموم في حرف الدال شيئا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول بعد ما أنشد لقيس بن الخطيم ، ولعمرو بن قميئة ، في الخيال : « وهذا من معاني القدماء غريب ، وهو أبلغ ماقيل في بخل المعشوق ، ومن هاتين المقطوعتين أخذ المحدَثون أكثر معانيهم في الخيال »[١٤] .

ومن هذه البابة أيضاً قوله : « وقد ذكروا أن كلَّ معنىً للأوائل أخذه المتأخِّرون وتصَّرفُوا فيه إلاَّ قول عنترةَ في الذُّباب ، فإنه لم يُتَعرَّض له ، ولورامه مَن رامه لافتضح ، وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يغنِّي وحدَه ... زجلاً كفعل الشاربِ المترنِّمِ
هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعه ... فِعْلَ المكبِّ على الزِّنادِ الأجذمِ[١٥]

وكتاب ديوان المعاني زاخرٌ بآراءٍ وقضايا نقديةٍ كثيرة ، من التذوُّق والصُّور الشعريّة ، والموازنات ، والسَّرقات الشعرية ، أو تأثر الشعراء بعضِهم ببعض ، وشواهد البلاغة ، إلى ماذكره أبو هلال من رأيه حولَ بعض مشاهير الشعراء ، وقد تقدَّم رأيُه وإعجابُه بأبي تمام ، لكنه قد أثار حول أبي تمام قضيَّة[١٦] جديرةً بالبحث والتتبّع ، حين أنشد لديك الجِنّ - واسمه عبد السلام بن رَغْبان الحِمصيّ المتوفى سنة (٢٣٥) ، وعُرف بديك الجِنّ ؛ لأن عينيه كانتا خضراوين - أنشد له أبو هلال في (ذِكر الشَّراب ومايجري معه من رقيق المعاني) :

فظلَّتْ بأيدينا نُتَعْتِعُ رُوحَها ... وتأخذُ من أقدامنا الراحُ ثارَها

---

(١٤) ديوان المعاني ١ / ٢٧٧ .

(١٥) ديوان المعاني ٢ / ١٤٨ ، وذكر ذلك الجاحظ في البيان ٣ / ٣٢٦ ، والحيوان ٣ / ١٢٧ ، وحكاه الحصريّ في زهر الآداب ص ٧٣٩ .

(١٦) وقد سبقه إليها الآمديُّ ، على ماسيأتي . وإن كانا متعاصرين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال : « وهذا معنىً بديعٌ حسَنٌ ، أخذه أبو تمام منه ، وكان كثيرَ الأخذِ منه ، فقال :

إذا اليدُ نالتْها بوترٍ توَقَّرتْ على ضِغْنِها ثم استقادتْ من الرجلِ

وبيت عبد السلام أجودُ منه »[١٧] .

وقد ذكر الآمديُّ البيتين ، ثم قال : وليس ينبغي أن نقطع على أيّهما أخذ من صاحبه ؛ لأنهما كانا في عصرٍ واحد » . الموازنة ١ / ٥٨ .

وقال في ٣ / ٦٠٦ ، في موضع تشابه بين أبي تمام وديك الجن : « وأصحاب البحتري يقولون إن أبا تمام هو الآخذ من ديك الجِنّ ، وإن ديك الجِنّ كان أتْيَهَ وأجَنَّ من أن يسرق من أبي تمام ، وهذا عندي حكمٌ على الغيب ، ولم لايكون أبو تمام أولى بالتيه من ديك الجن ، وأبعدَ من أن يسرق من أهل عصره » .

ومن ذلك ماأنشده لأبي تمام ، من قصيدته التي يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف :

وسَلكْن من أترابه الشُّعَلَ التي لو أنهنّ طُبِعْنَ كنّ سيوفا

قال : وإنما أخذ وصفَ هذا البيتِ من ديك الجِنّ - وكان أبو تمام كثيرَ الإناخة عليه ، وهو قوله في مرثيته :

ماءٌ من العبرات حَرّى أرضُه لو كان من مطرٍ لكان هزيما

وبلابلٌ لو أنهنّ مآكلٌ لم تخطئ الغسلين والزَّقُّوما

وكرًى يُرَوِّعني سَرَى لو أنّهُ ظِلٌّ لكان الحرّ واليحموما[١٨]

(١٧) ديوان المعاني ١ / ٣١٦ ، وقارن بديوان ديك الجن ص ١٠٨ ، والرواية فيه : ظللنا بأيدينا .

(١٨) جاء صدر هذا البيت محرّفاً تحريفاً شديدا ، وأثبتّ صوابه من ديوان ديك الجن ص ٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم قال : ونقل البيتَ الأولَ أبو تمام إلى موضعٍ آخَر ، فقال :

مطرٌ من العبرات خَـدّى أرضَـه   حتى الصبـاح ومقلتـاي سماؤُه[١٩]

فهذا ماذكره أبو هلال مِن أخْذ أبي تمام من دِيك الجِنّ وتأثُّره خُطاه ، وإليك موضعاً آخَر لم ينبِّه عليه ، وهو ماأنشده لديك الجِنّ في (التشبيب وأوصاف الحسان) :

انظرْ إلى شمس القُصور وبدرِها   وإلى خُزاماها وبهجةِ زهرِها
لم تبلُ عينُك أبيضاً من أسودٍ   جَمع الجمالَ كوجهها في شعرِها

ثم أنشد عقبه لأبي تمام :

بيضاء تسحب شعرَها مِن وجهها   في حُسنِه أو وجهها من شعرِها[٢٠]

والمشابه واضحةٌ بينهما في الصورة الشعرية والوزنِ والقافية .

والقضية معكوسة عند أبي بكر الصُّولِيّ ، وأبي الحسن المرزوقيّ ، فهما يريان أن ديك الجِنّ هو الذي كان يُغير على أبي تمام ، ويأخذ منه . ذكرا هذا في الموضع الذي يقول فيه أبو تمام :

إذا اليـد نـالتْهـا بـوترٍ تـوقَّرتْ
على ضِغْنِها ثم استقادتْ من الرجلِ[٢١]

وتقدّم كلامُ أبي هلالٍ فيه .

---

(١٩) ديوان المعاني ١ / ٥٦ ، وانظر ديوان أبي تمام ٤ / ١٤٨ .

(٢٠) ديوان المعاني ١ / ٢٤٥ ، وديوان ديك الجن ص ١٦٨ ، وديوان أبي تمام ٤ / ٢١١ ، والرواية فيه :

بيضاءُ يَحسَبُ شعرَها من وجهها   لما بدا أو وجهَها من شعرها

قال التبريزي في شرحه : المعنى أنّ شعرَها ووجهها حسَنان ، فهما وإن كانا متضادّين في اللون يشتبهان في الحُسْن .

(٢١) شرح الصُّولي لديوان أبي تمام ٣ / ٥٦٤ ، وشرح مشكلات ديوان أبي تمام للمرزوقي ص ٢٨٥ ، وشرح الخطيب التبريزي ٤ / ٥٢٠ ، وانظر منه أيضا ٤ / ١٩٧ (الحاشية) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا ، وقد ذكر محقّقا ديوان ديك الجن ، عن (الأغاني والعُمدة) أنّ أبا تمام أخذ عن ديك الجِن شاعرِ الشام أمثلةً من شِعره يُحتذى عليها فسرقها . ثم حكيا أن أبا تمام قبل أن يشتهر شعرُه دخل على ديك الجنّ ، فقال له : أنا ابنُ أخيك ، حبيبُ بن أوس ، وقد أُلهمتُ الشِّعرَ ، وأحبّ أن أعرضَ عليك بعضَ ماقلتُه ، ثم أنشده ، فلمّا فرغ من إنشاده أخرج أبو محمد مِن تحت مُصَلاّه دُرْجاً كبيراً من أشعاره فأعطاه أبا تمام ، وقال : تكسَّب بهذه . فأخذها أبو تمام وخرج[٢٢] .

وقد وجدت في شعر أبي تمام مايُقوّي هذا ، وذلك قولُه في آخر قصيدة ، في أحد إخوانه ، وهو أبو نصر سليمان بن نصر :

وثنائي من قبلِ هذا ومِن بعـ ـدُ وشكري غضٌّ لعبد السَّلامِ[٢٣]

وعبد السلام هو ديك الجن ، كما تعلم :

وكذلك كان ديكُ الجِنّ يحبُّ أبا تمام ، ويَقْدُرُ له شاعريّتَه حقّ قدرها ، فقد قال في رثائه :

فُجِع القريضُ بخاتم الشعراء وغدير رَوْضتها حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الأحياء[٢٤]

وقضية التأثير والتأثُّر بين هذين الشاعرين تحتاج إلى إفرادها ببحث ، فقد رأيت مشابهَ في شعرهما غير ماذكره الذاكرون ، منها أن أبا هلال أنشد في (الصناعتين) بيت أبي تمام الذائعَ :

نَقِّلْ فؤادَك حيث شئتَ مِن الهوى ماالحبُّ إلاّ للحبيب الأوّلِ

---

(٢٢) مقدمة تحقيق ديوان ديك الجن ص ١٠ .

(٢٣) ديوانه بشرح الصولي ٢ / ٣٧١ ، وبشرح التبريزي ٣ / ٢١١ .

(٢٤) ديوانه ص ١٤٧ ، ويُرويان لغيره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ذكر بإزائه قولَ ديك الجنّ :

نقّل فؤادَك حيث شئتَ فلن ترى كهوًى جديدٍ أو كوَصْلٍ مقبلِ[٢٥]

دون أن يذكر تأثيراً أو تأثُّراً .

ونُقّادُ الشّعر ورُواتُه يَقرنون ديكَ الجن بأبي تمّام - كما مرَّ بك - ومن ذلك أيضاً ماذكره ابنُ رَشيق في (باب الرثاء) قال : « وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ، ومثلُه عبدُ السلام بنُ رَغْبان ، ديك الجن ، وهو أشهرُ في هذا من حبيب »[٢٦] ويقول أبو الفرج عنه : « وهو شاعرٌ مجيد يذهبُ مذهبَ أبي تمّام والشاميّين في شِعره »[٢٧] .

ومن آراء أبي هلال في الشعراء والأدباء : ماذكره عن ديك الجن المذكور آنفاً . فقد أورد له شعراً في الباب الأخير من الكتاب ، تحت عنوان (كلام الملحدين لعنهم الله) قال فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رَغْبان الحِمصيّ :

هي الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس مِن السَّوافِ

فإن كذبوا أمِنتُ وإن أصابوا فإنّ المبتليك هو المعافي

وأصدق ماأبُثُّك أنّ قلبي بتصديق القيامةِ غيرُ صافي[٢٨]

---

(٢٥) الصناعتين ص ٤٣٦ ، وديوان أبي تمام ٤ / ٢٥٣ ، وديك الجنّ ص ١٨٤ ، وهو على عكس ماذهب أبو تمام ، يُفضّلُ الحبُّ الأخير ، لكنّ التأثير والتأثّر هنا في صياغة صدر البيت .

(٢٦) العمدة ٢ / ١٤٩ .

(٢٧) الأغاني ١٤ / ٥١ .

(٢٨) ديوانه ص ١٧٥ . وقال أبو العلاء المعرّي : « ورأى بعضُهم عبدَ السلام بن رَغْبان ، المعروف بديك الجنّ في النوم وهو بحُسْن حال ، فذكر له الأبياتَ الفائيّةَ التي فيها :

هي الدنيا وقد نَعِمُوا بأُخْرَى وتسويفُ الظُّنون من السُّوافِ

أي الهلاك . فقال : إنما كنت أتلاعبُ بذلك ، ولم أكن أعتقده . قال أبو العلاء : ولعلَّ كثيراً =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد أن أنشد من بابه لغير ديك الجن قال : « قبحهم الله ، لقد أعظموا القول ، ولم ينتفعوا إلاَّ بالفضيحة في الدنيا ، والإثم في الآخرة ، وإنما أُورِدُ مثلَ هذا لتعرفَ أهلَه ، ولأن تسميةَ الكتاب تُوجبه »[٢٩] .

ومن الشعراء الذين أنشد لهم أبو هلال كثيراً : ابن طَباطَبا العلويّ الأصبهانيّ ، وفي موضع من المواضع ذكر رأيه في شعره فقال : « ولست أُورد أكثر شعره إلاَّ لإصابةِ معناه دون لفظه ؛ لأن أكثر لفظه متكلّف ، وجُلُّ صنعته فاسد ، وهذا من العجب ؛ لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره ، وقد صنَّف كتاب (عيار الشعر) فأجاده ، وهو إذا أراد استعمال ماذكرناه لم يكْمُلْ له ، فهو كالمِسَنّ يشحذ ولا يقطع »[٣٠] .

وهذا كلام جيّد يصلُح لكلّ زمان ، وهو يمثّلُ الفجوةَ الواسعةَ بين مايكتبه بعضُ النقّاد في مجال التأصيل والنظرية ، وبين مايمارسونه من الأجناس الأدبية ، في مجال الواقع والتطبيق .

وقد ذكر صديقي الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، رأيَ ياقوت ، وعليِّ بن حمزة الأصبهانيّ في شعر ابن طباطبا ، ورأيها لايبعُد عن رأي أبي هلال ، في استثقال شعره واسْتِسْقاطه . وقد تساءل

= ممّن شُهر بهذه الجهالات تكون طوِّيتُه إقامةَ الشريعة ، والإرتاعَ برياضها المَرِيعة ، فإن اللسانَ طمّاح ، وله بالفَنَد إسماح » . رسالة الغفران ص ٤٣٨ ـ والفَنَد : ضعف العقل [وانظر الصاهل والشاحج : ٢٥٣ ـ ٢٥٤] .

(٢٩) ديوان المعاني ٢ / ٢٥١ .

(٣٠) ديوان المعاني ١ / ٣٤٥ . وعبارة (فهو كالمسن .....) هي من كلام ابن المقفّع . على ماذكر أبو أحمد العسكريّ ، قال : « فقد يقول الشعرَ الجيّد من ليس له المعرفةُ بنقده ، وقد يُميِّزُه من لايقوله ، وقد قيل لابن المقفع : لم لا تقول الشعرَ مع علمك به ؟ فقال : أنا كالمِسَنّ ، أشحذ ولاأقطع » (المصون ص ٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صديقي ، فقال بعد ماحَكى : ولكنْ هل يلزم أن يكون كلُّ ناقدٍ مجيدٍ شاعراً مجيداً ، أو حتى شاعراً ؟[٣١]

ولو رأى صديقي العزيز كلمةَ أبي هلال هذه في صاحبه ، لكان قد وقع على ذخيرةٍ تُحفَظُ وتُصان !

وماأكثر الأحكامَ النقديّةَ التي نثرها أبو هلال في كتابه (ديوان المعاني) هذا ، ولكنّ الناسَ شُغِلوا عنه بكتابه الآخر الشهير (الصناعتين) .

ومن الشعراء الذين أبدى رأيَه فيهم أبو هلال : أبو بكر الصُّوليّ ، فقد أنشد له شعراً في معنى قول امرئ القيس ، في طُول الليل :

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُولَه عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

والبيتين بعده . ثم قال عقب إنشاد شعر أبي بكر الصُّوليّ : « ويُستجاد هذا بالإضافة إلى جُملة شعره ، فأمّا لنفاسته لنفسِه فلا »[٣٢] .

ومنهم السَّريّ الرفّاء ، فقد أنشد له شعراً في وصف رياضٍ وبساتين ، قَدَّم له بقوله : « وقال السَّريُّ وأحْسَنَ ، وليس فيمن تأخَّر من الشاميّين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسُّهولة ، وألزمُ لعمود الشِّعر منه »[٣٣] .

والكتاب ـ كما قلت لك ـ حافلٌ بقضايا نقدية منثورة على امتداد

---

(٣١) مقدمة تحقيق كتاب عيار الشعر ص ٣٠ .

(٣٢) ديوان المعاني ١ / ٣٤٧ .

(٣٣) ديوان المعاني ٢ / ١٧ ، وانظر استحسانَه شِعْرَ السَّريّ أيضاً في ١ / ٢٤٥ ، ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صفحاته . منها أنّ الرُّواةَ قديماً وفي زمانه كانت تُصلح من شعر الشعراء . وقد ذكر من ذلك إصلاحَ خَلَفٍ شعرَ جرير ، وإصلاحَ أبي الفضل بنِ العَميد شعرَ أبي تمام . فروى بإسناده إلى الأصمعيّ ، قال : « قرأتُ على خلفٍ شعرَ جرير ، فلما بلغتُ إلى قوله :

ويومٍ كإبهام القطاةِ محبَّبٍ إليَّ هواهُ غالبٌ ليَ باطلُهْ
رُزِقنا به الصيدَ الغزيزَ ولم نكن كَمَنْ نبلُهُ محرومةٌ وحبائلُهْ
فيالك يومٌ خيرُه قبل شرِّه تغيَّب واشيه وأقْصَرَ عاذلُهْ

فقال : ويلَه ! وماينفعُه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت : كذا قرأتُه على أبي عمرو . قال : صدقْتَ ، وقال : كذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح ، مشرَّدَ الألفاظ ، وماكان أبو عمرو ليُقرِئَك إلاّ كما سَمِع . قلت : كيف كان يجب أن يقول ؟ قال : الأجودُ له لو قال :

فيالك يوماً خيره دون شَرِّه

فارْوِه هكذا ، وكانت الرواةُ قديماً تُصلح من شِعر القدماء . فقلت : واللهِ لأرويهِ إلاّ هكذا » .

قال أبو هلال : « ومثلُ ذلك أن أبا الفضل بنَ العَميد أنشد قولَ أبي تمام :

وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنتُ أعهدُه كثيرَ الطحلبِ

فقال : إنما قال : « عن جلدة الماء » ، فقال : إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظةٍ ، فمِن حقِّها وحقِّ قائلها أن تُغَيَّر . قال أبو هلال : وبين الصفحة والجلدة بونٌ بعيد »[٣٤] .

وهذا هو الذي جَسَّر أبا هلال وجرَّأه على أن يُصلحَ شيئاً ممّا أنشده

(٣٤) ديوان المعاني ١ / ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الشعر ، فقد أنشد من شعر علي بن محمد الكوفيّ قولَه :

لعمرُكَ للمشيبُ عليّ ممّا فقدتُ من الشّباب أشدّ فوْتا

ثم قال : « هذا البيت مضروبُ اللفظِ والرَّصْف ، فاعتبرْه :

تملَّيتُ الشبابَ فكان شيباً وأبليتُ المشيبَ فصار موتا

وكان من تمام الصنعة أن يقول : « وأشدّ فقدا » لقوله : فقدت من الشباب »[٣٥] .

وذكر في هذا الباب أيضاً - باب المبالغة في صفة الشباب والشيب - قال : « ووجدتُ بيتاً فاسدَ السَّبك فأصلحتُه ، وقلت :

نجوم مشيب في ظلام شبيبَةٍ وماحُسنُ ليلٍ ليس فيه نجومُ »[٣٦] .

على أن أبا هلال لم يذكر ذلكَ البيتَ الفاسدَ الذي أصلحه .

ويتّصل بذلك ماذكره في (اتفاق الأسماء والألقاب وتباعُد مابينَها في الأخلاق . من باب الهجاء) . قال : وقال آخَر :

رأى الصيف مكتوباً فظنّ لبُخلِه وتصحيفه ضيفاً فقام يُواثِبُه

قال : ورأيتُ في ألفاظ هذا البيت زيادةً فقلت :

قد كان للمال ربّاً فصار في البُخل عبدَه

وصَحّفَ الصَّيفَ ضيفاً فقام يلطم خدَّه[٣٧]

وهذا الإصلاحُ الأخيرُ متّصلٌ بموقف أبي هلال من قضيّة اللفظ والمعنى . فهو يُبغض زيادةَ الألفاظ وكثرتها وتزاحمها ، ويحبّ للشاعر أن تكون ألفاظه بقَدْر معانيه . ويأتيك رأيُه هذا صريحاً حين أنشد قولَ

---

(٣٥) ديوان المعاني ٢ / ١٥٨ .

(٣٦) ديوان المعاني ٢ / ١٥٦

(٣٧) ديوان المعاني ١ / ٢٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

دِعْبِل :

هجرتـك لا عن جفـوةٍ ومـلالـةٍ ... ولاالقِلَى أبطـأتُ عنـك أبـا بكرِ
ولكنني لَمـا أتيتُـك راغبـاً ... فـأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشُّكرِ
فـلآنَ لا آتيـك إلاّ معـذّراً ... أزورُك في الشهرين يوماً أو الشَّهْرِ
فإن زدْتَ في بِرّي تزايـدتُ جفوةً ... فـلا نلتقي حتى القيامـة والحشرِ

وقول أبي نُواس :

قـد قلتُ للعبـاس معتـذراً ... مِن ضَعْفِ شُكْرِيـه ومُعترِفـا
أنت امرؤٌ قلّـدتْني نِعَماً ... أوهَتْ قُوَى شكري وقـد ضعُفـا
لاتُسـدِينَّ إليّ عـارفـةً ... حتى أقـومَ بشكر مـاسَلَفـا

وقال عقبه : « وهو أول من أتى بهـذا المعنى إلاّ أنـه عبَّر عنـه عبـارةً طويلة ، وأحدُ أدْواء الكلام فضلُ ألفاظه على معانيه »[٣٨] .

وقد كرَّر أبو هلال هذه القضيّة كثيراً في كتـابـه ، فقـال في (بـاب وصف الشراب) : « وأحسن مـاقيـل في احمرار لـونِ الشـارب من الشعر القديم قولُ الأعشى :

وسبيئـة مّمـا تعتّـقُ بـابـلٌ ... كـدَمِ الـذَّبيحِ سلبْتُها جرْيـالَهـا

الجريال : اللون . وقال بعضُ المحدَثين :

نفضتْ على الأيّـام حمرةَ لـونِهـا ... وسرَتْ بلـذّتهـا إلى الأرواحِ

وأخذ الناجمُ قولَ الأعشى « سلبْتُها جرْيالها » فقال :

فخُـذْهـا مشعشعـةً قَهْـوةً ... تصبُّ على الليـلِ ثـوبَ النهـارِ
ويسْلُبُهـا الخـدُّ جِرْيـالَهـا ... فتُهْـديـه للعين يـومَ الخُمارِ

إلاّ أنّ هذا فيه زيادة ، وهو قولُه : ☆ فتهـديـه للعين يوم الخمار ☆ وهو

(٣٨) ديوان المعاني ١ / ١٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

في صفة حُمرة العين من الخُمار جيّد . إلاّ أنّ قوله : « مشعشعةٌ قهوة » رديء ، ووجه نظم اللفظ أن يقال : قهوة مشعشعة ، ألا ترى أنك تقول : خمرٌ ممزوجة ، ولاتقول : ممزوجة خمر ، وإن كان جائزاً ، فليس كلٌّ جائز حسن ، فاعلم ذلك »[٣٩] .

ويرى أبو هلال أن مخالفةَ وجه الاستعمال ، ووضْعَ اللفظ في غير موضعه ، يخرج بالكلام إلى التكلّف ، وإن كانت ألفاظه صحيحةً فصيحة . قال بعد إنشاد بيتين في صفة الروض للصَّنَوْبريّ : ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين ، وهما بالاستهجان أولى ، لالرداءة معناهما ، ولكنْ لتكلّف ألفاظهما ، وليس التكلُّف أن تكون الألفاظُ غريبةً وحشيّة ، بل وقد يكون الكلامُ متكلّفاً وإن كان ظاهرَ اللفظ إذا لم يُوضَعْ في موضعه ، وخُولِف به وجهُ الاستعمال »[٤٠] .

ويذكر أبو هلال أن بعض الألفاظ لايُطيقه الشّعر - وهي قضية

---

(٣٩) ديوان المعاني ١ / ٣١٩ [وقوله : « فليس كل جائز حسن » ، كذا جاء في المطبوع ، وهو لحن بيّن . ولعل مافي أصل المخطوط : « فليس كل جائز بحسن »] .

(٤٠) ديوان المعاني ١ / ٣٢٢ ، ولم أذكر بيتي الصنوبريّ هنا ، لأن فيهما تحريفاً لم أستطع إصلاحه .

[أثبت محقق ديوان الصنوبري الدكتور إحسان عباس هذين البيتين في تكلة الديوان ، ص : ٤٦٦ عن ديوان المعاني ، وقوّم ماانحرف منها ، ونصها :

وقد نظم الروضُ سِمْطَيْه من ... سِنان قُوَيْق إلى زُجّه
كَفَرْجِكَ خفْتانَ وشْيٍ بدا ... بياضُ الغِلالةِ من فَرْجِه

وكان لفظ « قُوَيق » في عجز البيت الأول قد حرّف إلى « نؤيق » وسقطت الألف من « بدا » في صدر البيت الثاني .

و « قويق » نهر حلب المعروف ، وكان الصنوبري لهجاً بذكره .] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

معروفة عند كثير من النقاد العرب[٤١] ـ فمن ذلك ماذكره في سياق قول القُطاميّ :

قد يُدركُ المُتأنّي بعضَ حاجتِه وقد يكون مع المستعجلِ الزَّلَلُ

قال : وقيل لبعض العلماء : لِم لَمْ يقل : « كلّ حاجته » فيكونَ أبلغَ ؟ قال : ليس « كلّ » مِن كلام الشّعر ، وقد صدق ، ولو قال « كلّ حاجته » لكان متكلّفاً مردوداً ، وكثيراً مايقع « كلّ » في الشّعر قلق المكان ، كوقوعه في بيت ابنِ طباطبا :

فيالائمي دَعْني أُغالي بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ مايُحسنُونَهُ

ولاأعرف أن « كُلاًّ » وقع في بيتٍ أحسنَ منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمْتُ عُتْبةَ أنني منها على أجلٍ مُطِلُّ
وشكوتُ ماألقى إليْها والمدامعُ تستهلُّ
حتى إذا بَرِمتْ بما أشكو كما يشكو الأذَلُّ
قالت فأيُّ الناس تَعْرِفُ ماتقولُ فقلتُ كلُّ
ومن الذي يَهْوَى فلا يُزْهَى عليه ولايذلُّ »[٤٢] .

---

(٤١) كما قالوا في لفظة « أيضاً » إنها لاتصلح في الشعر ، إلاّ في موضعين : أولهما قول أبي بكر الشِّبليّ (ديوانه ص ١٥٢):

رُبَّ ورقاءَ هتوفٍ في الضحى ذات شجوٍ صدحت في فنَنِ
ذكرتْ إلفاً وعهداً سالفاً فبكتْ حزناً فهاجت حَزَني
فبكائي ربّا أرّقها وبكاها ربّا أرّقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
غيرَ أني بالجوى أعرفها وهْيَ أيضاً بالجوى تعرفني

وقول الآخر :

جاء الشتاء وماعندي له وَرِقٌ ممّا وهبْتَ وماعندي له خِلَعُ
كانت فأودى بها جودٌ ولِعْتُ به وللمساكين أيضاً بالنّدى وَلَعُ

(٤٢) ديوان المعاني ١ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قلتُ : بل قد حسُنتْ « كلٌّ » في مواضعَ كثيرةٍ من الشعر العربيّ ، وذلك حين أُتيح لها الشاعرُ البصير بمواقع الكلام ، وحالات النفس ، الشاعرُ ذو الإحساس المرهَف بالنغم وملاءمةِ الألفاظ له . وحَفَظةُ الشعر ورُواتُه يعرفون أمثلةَ ذلك .

وممّا حسُنتْ فيه « كلّ » مما ذكره أبو هلال في كتابه هذا ، قولُ أبي تمام :

معتدلٌ لم يعتدلْ عدلُهُ ... في عاشقٍ طال به خبلُهُ
أطرْفُه أحسنُ أم ظَرْفُهُ ... وحسنُه أكملُ أم عقلُهُ
انظر فما عاينتَ في غيرِهِ ... من حسن فهو له كلُّهُ
لو قيلَ للحُسْنِ تمنَّ المنَى ... إذاً تمنَّى أنه مثلُهُ
أيّ خصالٍ حازَها سيّدي ... لو لم يُكدّرْ صفْوها مطلُهُ[٤٣]

وقولُ بعضهم :

شكوتُ فقالت كلّ هذا تبرُّماً ... بحبّي أراح اللهُ قلبَك من حبّي
فلما كتمتُ الحبَّ قالت لشَرّ ما ... صبرتَ وماهذا بفعل الشَّجِي الصَّبّ
وأدنو فتُقْصِيني فأبعدُ طالباً ... رضاها فتعتدُّ التّباعُدَ من ذنبي
فشكوايَ تُؤذيها وصبري يسوءُها ... وتجزعُ من بُعدِي وتنفِرُ من قُربي[٤٤]

وأحْلَى من الاثنين قولُ ديك الجِنّ :

مات حبيبٌ فمات ليثٌ ... وغاضَ بحرٌ وباخ نجمُ
سَمَتْ عيونُ الردَى إليه ... وهي إلى المكرُمات تسمو

(٤٣) ديوان المعاني ١ / ٢٦٥ ، وفي البيت الثاني تصحيف ، صحّحتُه من ديوان أبي تمام ٤ / ٢٦٠ .

(٤٤) ديوان المعاني ١ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مـا أمّـكَ اجتـاحت المنـايـا كلُّ فـؤادٍ عليـك أمّ[٤٥]

ويُشير أبـو هـلالٍ بعبـارةٍ ذكيّـةٍ إلى أنّ الإحسـاسَ بـالشِّعر وتـذوُّقَـه مركوزٌ في طباعِ أهل البادية ، وهم أهلُه وأصولُه ، مِن قَبْل هؤلاء العلماء والرُّواة ، الذين عنهم أُخذت قضاياه ومقاييسُه . فقـد روى قصّةَ ذلـك الشيخِ البدويّ الذي كان الناسُ يأتونـه ويُنشـدونـه أشعـارَهم ، ويحتكمون إليـه ، وذكر مِن حـديثـه أنـه كان إذا سمع الشعرَ الجيّـدَ قرع الأرض بمِحْجنه ، فينفـذ حكمُه على من حضر منهم ، بشـاةٍ إذا كان ذا غنم ، وابن مخـاض إن كان ذا إبل ، فـذبح ونحر لأهل الوادي . ثم ذكر مـارُوي من شعرٍ بحضرة ذلك الشيخ ، وحكى من حالات طرَبه ونَشْوته ، قال : فقـام الشيخ كالمجنون مُصْلِتـاً سيفَـه حتى خـالَـطَ البَرْكَ - وهـو الإبـل الكثيرة - فجعل يضرب يميناً وشمالاً ، وهو يقول :

لاتُفرِغنْ في أذنيّ بعـدَهـا مـا يستفـزُّ فـأُريـك فَقْـدَهـا
إنّي إذا السّيفُ تـولى نـدَّهـا لاأستطيـع بعـد ذاك ردَّهـا

قـال أبـو هـلال ، رحمـه الله تعـالى : « وهـذا دليـلٌ على أن علمَ الشعر ، والتمييز بين جيّـده ورديئـه كان غريزاً عنـدَ أهل البـوادي ، وهم أصـولُـه ومنبعُه ومعدنُه ، وكان فِعلُ هذا الشيخ واستفزازُ جيّد الشّعر له قريباً ممّا رُوي عن محمد الأمين أنـه قـال : إني لأَطربُ على حُسن الشعر ، كما أطرب على حُسن الغناء »[٤٦] .

وتأمَّلْ قولَه : « واستفزاز جيّد الشعر له » .

---

(٤٥) ديوان المعاني ٢ / ١٨١ ، وديوان ديـك الجن ص ١٤١ ، و « حبيب » هنـا : ابنُ الشاعر ، وليس أبا تمام (راجع حواشي الديوان) .

(٤٦) ديوان المعـاني ١ / ٣٥٥ . وانظر لفِطْنـة الأعراب والبَـدْوِ للشّعر وحلوِ الكـلام : ماذكره الحُصريّ في زهر الآداب ص ٤٠٢ - ٤١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن نوادر ماحكاه أبو هلال في هذا الكتاب ، عن أبي القاسم الآمديّ ، قصّةُ « ابن نوح » وهو رجلٌ حسنُ الشيبة ، عظيمُ الهامة ، كثيرُ الصمت ، وليس له عملٌ إلاّ صيدَ الذّبّان ، وكان من أعلم خلقِ الله بأجناسها ، وذكر مِن معرفته بالذّبّان وأحوالِه أشياءَ عجيبة ، وقد ألّف فيها كتاباً حسَناً فيه نوادرُ وعِبرٌ .... ويقول في آخر الحكاية : وظننتُه قد نظر في باب الذُّباب والبعوض من كتاب الحيوان ، واستقى مِن هُناك ، ففاتحتُه ، فإذا هو لايعرفُ الجاحظ ، ولاسمع بكتاب الحيوان قطُّ ، ونظرتُ فإذا أبو عثمان لم ينته في معرفة الذُّباب إلى شيءٍ مما انتهى إليه وعرفه »[٤٧] .

ومن طريف النَّثْر في هذا الكتاب هذه التهنئةُ ـ والتَّعْزيةُ ـ لرجلٍ زَوَّج أُمَّه . قال أبو هلال[٤٨] : « ومن عجائب المعاني تهنئةٌ لأبي إسحاق الصابي ، مشوبةٌ بالعقد[٤٩] لرجلٍ زوَّج أمَّه[٥٠] : قد جعلك اللهُ ، وله الحمدُ ـ من أهل التحصيل والرأي الأصيل ، [وصّحة الدين] وخلوص اليقين ، فكما أنك لاتَتْبعُ الشهوةَ في محظورٍ تُحلُّه ، فكذلك لاتُطيع الأَنَفَةَ في مباحٍ تحظرُه . وتأدّى[٥١] إلينا من إيقاعك العَقْدَ بين الوالدة ـ نفّس

---

(٤٧) ديوان المعاني ٢ / ١٤٩ .

(٤٨) ديوان المعاني ١ / ١٠٠ ، ١٠١ .

[(٤٩) علّق ناشر ديوان المعاني على هذا اللفظ قال : « في الأصل : بالعقربة » . ومأأثبته الناشر وظن أنه الصواب لايقوم به المعنى . والظاهر أن مافي الأصل إنما هو تحريف « بالتعزية »] .

[(٥٠) حكى المحسّن التنوخي كلام أبي إسحاق هذا في نشوار المحاضرة ٣ : ٢١١ (بتحقيق عبود الشالجي) وذكر ثمّ أن أبا إسحاق نفسه أملاه عليه . ومنه استدركت ماجعلته بين حاصرتين ، وقد سقط من مطبوع ديوان المعاني ، ومنه أيضاً أفدت تقويم أشياء من التصحيف نبهت عليها في التعليقات الآتية] .

[(٥١) في مطبوع ديوان المعاني : ويأوي . ومأأثبتّه من النشوار] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللهُ لها في مدّتك [٥٢]وأحسنَ بالبقيّة منها إمتاعَك[٥٢] ـ وبين فلانٍ ، ماعلمْنا أنك فيه بين طاعةٍ للديانة[٥٣] توخّيْتها ، ومشقّةٍ فيها تجشّمْتَها ، وأنك قد جَدَعْتَ أنْفَ الغيرة لها ، وأضرْعْتَ خَدَّ الحميّةِ فيها ، وأسخطتَ نفسَك بإرضائها ، وعصيْتَ هواك لرائها[٥٤] ، فنحن [نهنئك بعزيمة صبرك ، و] نُعزّيك على فائت مُرادِك ، ونسأل اللهَ الخِيرةَ لك ، وأن يجعلَها أبداً معك[٥٥] فيما شئتَ وأبَيْتَ ، وتجنّبتَ وأتيتَ[٥٥] والسلام » .

وقد ألَمَّ أبو هلال ببعض قضايا من النحو واللُّغة . فمن النحو ماحكاه عن خاله أبي أحمد العسكريّ ، في قول جرير :

بنفسي امرءاً والشامُ بيني وبينَه أتتني ببُشْرَى بردُه ورسائلُهْ

قال : « قال أبو أحمد : قال أبو الحسن ـ يعني الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة ـ : لايجوز عندنا ـ أي البصريّين ـ إلا « امرؤ » ، إلاّ أن الرواية هكذا . معناه أفدي »[٥٦] .

وذكر من الفُرُوق في أبنية الأفعال ، قال : « يُقال : حَلا الشيءُ في الفم ، وحَلِيَ في القلب »[٥٧] . وقد جاء في اللسان : حلا الشيء في فمي ، بالفتح ، يحلُو حلاوة ، وحَلِيَ بعيني ، وفي صدري ، يَحْلى حلاوةً وحُلوانا .

[(٥٢ ـ ٥٢) سقطت هذه العبارة من النشوار] .

[(٥٣) في مطبوع ديوان المعاني : لديانة ، ومأأثبتّه ـ وهو الوجه ـ من النشوار .] .

[(٥٤) في مطبوع ديوان المعاني : لرأيها ، والسجع يقتضي مأأثبتّ . وفي النشوار : « .... لرضاها ، ..... لرأيها .] .

[(٥٥ ـ ٥٥) في مطبوع ديوان المعاني : فيما شئت وأتيت ، وتجنّبت وأنبت . والصواب الذي أثبتّه من النشوار .] .

(٥٦) ديوان المعاني ١ : ٦٦ .

(٥٧) ديوان المعاني ١ : ٢٥٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومِن الخِلاف في أبنية المصادر ، قال تعقيباً على قول الشاعر :

لايمنعنّك خفضُ العيش في دَعَةٍ نُـزوعُ نفسٍ إلى أهـلٍ وأوطـانِ
تلقى بكلِّ بـلادٍ إن حللْتَ بهـا أهـلاً بـأهـلٍ وجيرانـاً بجيرانِ

قال : « والنُّزوعُ هنا رديء ، والجيِّدُ النّزاع »[٥٨] .

وجاء في اللسان : ويقال للإنسان إذا هَوِيَ شيئاً ونازعتْه نفسُه إليه : هو يَنْزِعُ إليه نِزاعاً . أمّا النُّزوعُ فهو الكفُّ والانتهاء . يقال : نزَع عن الصِّبا والأمرِ ، يَنزِعُ نُزُوعاً ، كفَّ وانتهى ، ورُبَّما قالوا : نَزْعاً .

لكنَّ هذا الذي ضعّفه أبو هلال ، جاء أيضاً . جاء في اللسان : يقال : نَزَع الإنسانُ إلى أهله ، والبعيرُ إلى وطنه ، ينزِعُ نِزاعاً ونُزُوعاً .
ومن أبنية الجموع ، قال تعليقاً على قول الحادرة :

ونقيم في دار الحِفـاظِ بيُـوتنـا زمنـاً ويظعنُ غيرُنـا لـلأَمْرُعِ

قال : « والأمرُع : جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظه »[٥٩] .

ويُشير أبو هلال إلى أثر الدُّرْبة والمُمارَسة على النُّطق الصحيح ، فيقول : « وأنا أقول : الصمتُ يُورثُ الحُبْسة والحَصَر ، وإنّ اللسانَ كلَّما قُلِّب وأُدير بالقول كان أطْلَقَ له . أخبرني بعضُ أصحابنا ، قال : ناطقْتُ فتىً من بعضِ أهل القُرى ، فوجدتُه ذَليقَ اللّسان ، فقلت له : مِن أين لك هذه الذَّلاقة ؟ قال : كنت أعمِدُ كلَّ يومٍ إلى خمسين ورقةً من كتب الجاحظ ، فأقرؤها برفْع صَوْت ، فلم أجْرِ على ذلك مدَّةً حتى صرتُ إلى ماترى »[٦٠] .

---

(٥٨) ديوان المعاني ١ / ١٩٢ ، ٢ / ١٨٧ .

(٥٩) ديوان المعاني ٢ / ١٨٨ ، وديوان الحادرة ص ٣١٢ [ص ٥٣ ـ ٥٤ / دار صادر] ، وفي مفرده خلاف ، انظره في اللسان (مرع) .

(٦٠) ديوان المعاني ١ / ١٥٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على أنَّ أهمَّ قضيّة أثارها أبو هلال ، في كتابه هذا : قضيّةُ روايةِ الشعر السَّخيف ، أو مايُسَمَّى في أيامنا (الأدب المكشوف) . وهي قضيّة بالغةُ الأهمية ، فإن كثيراً من أهل زماننا يربطون هذه القضيّةَ بالعقيدة والدِّين ، فيتحرّجون من رواية هذا الشعر ، وتسطيره في الكتُب ، ويَرَوْن في ذِكره وإثباته ثَلْماً للدِّين ، وجَرْحاً للعفّة ، واستسقاطاً للمُروءة .

فقد روَى أبو هلال شعراً في السُّخريّة من اللِّحْية وهجائها[٦١] . وكأنما أحسَّ أبو هلال في ذلك حرجاً ، وأنه احْتقبَ إثماً ؛ حيث أتى بما يُصادم السنّةَ الصحيحة ، من قوله صلى الله عليه وسلم : « احْفُوا الشَّوارِبَ واعفُوا عن اللِّحَى » ، فقال عَقِبَ ماأنشده مِن شِعرٍ : « ولولا القصَدُ لجمع أعيان المعاني ، والشَّرطُ المتقدّم ، لتركتُ التشنيع الملفوظ مِن المنظوم والمنثور . على أن العلماءَ لو تركوا روايةَ سخيفِ الشعر لسقطت عنهم فوائدُ كثيرةٌ ومحاسنُ جَمّة موفورةٌ ، في مثل شعر الفرزدق وجرير والبَعيث والأخطل وغيرِهم . ولو لم يصلُح ذكرُ الفُروج بتصريح أسمائها ، لكان تسميةُ أهل اللغة إيَّاها بذلك خطأً ، وهذا محال »[٦٢] .

وهذا كلامٌ جيّدٌ جداً ؛ فإن الشعرَ العربيّ في كلّ صُوره وأحوالِه ،

---

(٦١) لكنه قد أنشد أيضاً ، شعراً في ذمّ مَن يحلق لحيته ، ومن ذلك قولُ ابن طباطبا :

يامَن يُزيل خلقةَ الر ... رحمنِ عمّا خُلقتْ
تُبْ وخَفِ اللهَ على ... كفِّكَ ممّا اجترحتْ
هل لك عذرٌ عندَهُ ... إذا الوحوشُ حُشرتْ
بلحيةٍ إن سُئلتْ ... بأيِّ ذنبٍ نُتِفتْ

ديوان المعاني ١ / ٢١٦ .

(٦٢) ديوان المعاني ١ / ٢١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إنما هو وثيقةٌ لغوّيةٌ وتاريخية وحضاريّة[٦٣] . ثم هو شهادةٌ على العصور ، في معارفها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها ومآكِلها ومشارِبها . فلو أسقطنا مِن شِعرنا العربيّ مايصادم الآداب - في نظرنا - لضاع عِلمٌ كثير ، ولسقطتْ حضارةٌ عظيمة ، فضلاً عن ضياع القيمة الفنيّة التي يحملها هذا الشعر . ومن العجيب أن أحلى الصُّوَر الفنّية وأصدقها هي تلك التي يؤدّيها مثلُ هذا الشعر ؛ لأنه مَجْلَى الإحساس الصادق والمُعايشة الحقيقية ..

وهذا الشعرُ قد عَبَر إلينا مِن خلال خمسة عشر قرناً ، مرَّ فيها على أُلوف الأُلوفِ ؛ من الزُّهّاد وأهلِ الورَع ، ومَن لايُقاس إخلاصُنا بإخلاصهم ، ومَن يَحْقِرُ أحدُنا عملَه - مهما غلا فيه وبالغ - إلى عملهم . ولم يأتنا عنهم أنهم حذفوا أو أسقطوا ، وروايةُ حبر الأمة عبد الله بن عباس ، رضي الله عنه وعن أبيه - للشِّعر الذي يُنكره مُدَّعُو الورع ، روايةٌ معروفةٌ مَسْطُورة[٦٤] .

للبحث صلة

---

(٦٣) انظر تقدمتي لكتاب الشعر ، لأبي علي الفارسي ص ١٤ .

(٦٤) [وأيد الدكتور الطناحي هذا الذي ذهب إليه بأقوالٍ لطائفة من العلماء المتقدمين والمعاصرين استغرقت بضع صفحات ، ورأت اللجنة الاجتزاء عن ذكرها بالاشارة الى مواضعها :

١ - كلام لابن قتيبة وتعليق الأستاذ السيد أحمد صقر ، رحمه الله ، عليه في مقدمته لكتاب تأويل مشكل القرآن ، ص ٧٦ .

٢ - كلام لابن مسكويه من تهذيب الاخلاق ، ص ١٤٧ .

٣ - كلام للشيخ محي الدين عبد الحميد في مقدمة طبعته لكتاب اليتيمة للثعالبي ، ص ٥ .

٤ - كلام للشيخ أحمد محمد شاكر في حاشية له على كتاب الشعر والشعراء ، ص ٧٩٦ .

٥ - كلام للأستاذ أحمد الجندي في مقدمته لكتاب قطب السرور .

٦ - كلام للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب المجذوب في كتابه : بين النير والنور ، ص ٩ - ١٠]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net